كلمة الأستاذ عبد الكريم غلاب

عضو مجلس الرئاسة لحزب الاستقلال

أسرة الفقيد العزيز،

الأسرة الاستقلالية العزيزة

أصدقاء المرحوم المجاهد أبو بكر القادري

عزاؤنا جميعاً في مصابنا الجلل لفقدان هذا الرجل الكبير الذي ترك آثاره الكبيرة في بلادنا العزيزة.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم، تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم، دعواهم فيها سبحانك اللهم، وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين** ﴾.

صبراً يا آل القادري،

صبراً يا آل الاستقلال، فإن صاحبنا قد كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومن الذين أهداهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم. طوبى لهم وحسن المآل.

وبعد، فإن الذاكرة تجري أمام شريط هائل عريض وطويل من ذكرياتي مع الفقيد العزيز، عرفته قبل الهجرة، عندما كان يزور فاس من حين لآخر، ولكن معرفتي به توثقت في اجتماع اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، كانت اللجنة تضم كوكبة من المناضلين المجاهدين، أحمد بلفريج، عمر بن عبد الجليل، محمد اليزيدي، المهدي بن بركة، الفقيه محمد غازي، وغيرهم من المجاهدين، وكان واسطة العقد أبو بكر القادري رحمه الله.

كنت وزميلَيَّ اللذان اختارتهما اللجنة التنفيذية لحضور اجتماعاتها، ولم نكن أعضاء رسميين في اللجنة، المرحومان، عبد الرحيم بوعبيد، وقاسم الزهيري، كنا نتلقى الدرس من النضال، نضال المجاهدين في وقت كان من أحرج الظروف التي عرفها المغرب وعرفتها اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، كان الوقت هو وقت الماريشال جوان، وحينما أقول الماريشال جوان، أذكر بأصعب فترة مرت بالمغرب الحديث، وأحسن فترة جهادية مرت ببلادنا التي رسم فيها الوطنيون الخطى

العريضة للوصول إلى الاستقلال.

الماريشال جوان كان يظن أنه خليفة الماريشال ليوطي وأنه سيحقق مثل أو أحسن مما حققه ليوطي.

ليوطي عزل السلطان عبد الحفيظ بن الحسن، وهو سيعزل السلطان محمد بن يوسف، ليوطي حاول أن يقضي على الثورات المتأججة في الجبال وفي الأطلس وفي الريف، حاول ذلك ولم ينجح، والماريشال جوان سيقضي على الثورة المتأججة في الشعب المغربي قاطبة، ثورة الوعي بالاستقلال، ثورة النضال ضد الحماية. وكان الصراع قوياً وعنيفاً بين حزب الاستقلال والماريشال جوان. وانهزم الماريشال جوان وبقي حزب الاستقلال حقيقة تركها لخلفه الجنرال كيوم، ترك له رسالة يقضي بها أو ينفي بها محمد الخامس، ورسالة يقضي بها على حزب الاستقلال.

ولكن النتيجة هي سنة 1955 حينما عاد محمد الخامس من المنفى وأعلن نهاية الحجر والحماية وبزوغ فجر الاستقلال والحرية، أي هؤلاء جميعاً من ماريشالات وجنرالات الذين قادوا الاستعمار الفرنسي للقضاء على الثورة المغربية التي بدأت بالسلاح وانتهت بالسلاح وحققت في الآخر الاستقلال التام.

أعود فأذكر أنني كنت في اللجنة التنفيذية التي حضرناها لنتلقى التدريس في الممارسة السياسية. وكنت كذلك أدرس الشخصيات التي تحضر هذه الكوكبة من الاستقلاليين والمناضلين، كان يلفت نظري شخصية مرموقة في وسط هذا الجمع الهائل الكبير ولو أن عدده صغير، الشخصية التي كانت تلفت نظري هي شخصية أبي بكر القادري.

كان رحمه الله دائم الابتسامة، وكان رحمه الله لا يتكلم كثيراً ولكن يفكر كثيراً، يتكلم قليلاً وحينما يتكلم يأتي بالحجة ويأتي بالبرهان ويأتي بالرأي الصائب، كان الجميع ينصتون وكان الجميع يعترف له بالفضل وبالرأي. ولذلك كان يعتز بوجوده في وسط هذه المجموعة الصغيرة الكبيرة من الشباب، وتمر بي الذاكرة سريعاً لنجتمع مرة أخرى في إطار المسؤولية في مجلس رئاسة حزب الاستقلال.

أذكر أن الرجل كان وسط عقدنا، كان يفكر معنا وقبلنا، وكان يوجهنا، وكان دائماً يسير هادفاً ومستقيماً ويوجه حزب الاستقلال إلى الطريق المستقيم للخروج بالقضية وهي قضية أخرى لا تقل عن قضية الاستقلال، وهي قضية الديمقراطية للخروج بها من المآزق التي اعترضتها إلى الطريق السوي والطريق الموصل والواضح.

كان رحمه الله لا يغضب إلا في ثلاث: إذا مس الإسلام أو مست اللغة العربية أو مست فلسطين، حينما تذكر فلسطين نعرف أن الرجل كان مهووساً بقضية فلسطين، ولو لم تعرفه لظننته

أنه من كبار زعماء فلسطين، لأنه يحب البلد لقدسيتها أولاً، ولأن الاستعمار الصهيوني ظلم هذه البلاد ظلماً لم تعرفه بلاد أخرى من ذي قبل.

وكان رحمه الله يقدر جهود الفلسطينيين ويعترفون له بهذا التقدير، ويعمل جاهداً في كل مكان يحل به. وقد عرفنا أنه جال إفريقيا وآسيا من أجل القضية الفلسطينية ومن أجل القضية الوطنية.

وكان رحمه الله إلى جانب ذلك، معلماً، مقتدراً. لقد وجد نفسه في التعليم لماذا؟، لأنه كان يؤمن بأن الشعب المغربي لا يمكن أن ينأى بنفسه ولا يمكن أن يطرد الاستعمار من أرضه إلا إذا تعلم، ولذلك ورغم العمل السياسي ورغم النضال الذي كان يقوم به في مدينة سلا مع المناضلين الاستقلاليين، رغم كل ذلك فقد التجأ لتأسيس مدرستين، مدرسة للبنات ومدرسة للرجال وللشباب، وكانت مدرسة النهضة منارة للعلم والثقافة، المدرسية التي تخرج منها عدد كبير إن لم أقل الآلاف من الأطر المتعلمة، والتي استفادت وأفادت في مرحلة الاستقلال، كما أفادت في مرحلة ما قبل الاستقلال.

إلى جانب هذا وذاك، كان رجل علم وثقافة لا يهدأ ولا يستقر له حال إلا إذا كان يقرأ كتاباً وإلا إذا حدثنا عن الكتب التي كان يقرأ، ولهذا اتجه أولاً إلى كتابة ما يفكر فيه، وهكذا أنتج عدداً كبيراً من الكتب وعدداً كبيراً من الدراسات والأبحاث والمقالات في الصحف والمجلات.

كانت له مجلة «**الإيمان**» وحينما نقول الإيمان نذكر الرجل الذي كانت فكرته الأساسية هي الإيمان، كان رجلاً مؤمناً، ولهذا كان الإيمان تعبيراً عن الفكر الإيماني للرجل في القضايا الإسلامية والقضايا الوطنية والقضايا الاستقلالية، وإلى جانب ذلك كتب عدة كتب، كنت أحضر بعض الحفلات أو المهرجانات الدينية التي أقيمت له في مدينة سلا بالأخص كلما أصدر كتاباً من كتبه وخاصة كتابه الأخير «**مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية**» وتحدثت عن الرجل الذي كان أمامنا ملء العين والقلب والعقل والبصر.

هذا الرجل كنت أنظر إليه كما أنظر إلى والدي أو إلى معلمي أو إلى موجهي، وكنت لا أبالغ في مدحه، ولكني أنفذ إلى صميم ما كتب لأتحدث عما كتب، ولذلك كانت كتبه دائماً مفيدة وموجهة، ومعلمة، إلى جانب كتبه الثقافية والفكرية، كتب مجموعة كتب ومجموعة مقالات عن «رجال عرفتهم» التعريف بالذين عرفهم من الرجال القدماء حتى من الذين قرأ عنهم ولم يقابلهم لأنهم كانوا من جيل قبله، حتى هؤلاء كتب عنهم، وأحيى ذكراهم وأحيى عملهم الوطني، هذه المجموعة من الدراسات المهمة، تعرف برجال المغرب، وكان من الممكن أن تنساهم الأجيال الآتية من بعدهم، ولكن أبا بكر القادري كان يذكر بهؤلاء الرجال ويعرف بهم ويذكر مزاياهم، سواء

فيما كتبوا أو فيما تركوا من آثار، أو فيما قاموا به من أعمال وطنية.

أبو بكر القادري كان لا يترك مجالاً للعمل وخاصة الأعمال الفكرية والوطنية إلا كان حاضرا فيه، عضو في أكاديمية المملكة المغربية، ولا يترك اجتماعاً من اجتماعات هذه الأكاديمية إلا حضره، وناقش في موضوعاته وتحدث للأكاديميين عما يشعر به وعما يجول في خاطره من أفكار علمية وثقافية، كان عضواً في مؤسسة علال الفاسي، كان في آخر حياته يتحامل على نفسه ويتحمل المشاق ليحضر اجتماعات مؤسسة علال الفاسي، لأنه يقدر الرجل الذي كان صديقه طيلة حياته، ويقدر المؤسسة التي تقوم بأعمال لمصلحة الثقافة والفكر المغربي، كان يحضر دائماً وخاصة عمل لجنتها الثقافية. كان عضواً في كثير وكثير جداً من الجمعيات الثقافية، ويؤسس الجمعيات الثقافية والفكرية ويحاضر فيها، كان لا يترك مجالاً في العلم والثقافة ومجالاً في العمل الوطني إلا حضره وحاضر فيه، وناقش وكتب.

وحينما كنت أجلس إلى أبي بكر القادري، كنت أبحث عن شيء ما في هذا الرجل، حينما يتحدث، يتحدث بصدق، وحينما يجادل يجادل وهو يضحك، ويجادل بالتي هي أحسن ولا يجادل أبدا في الفراغ، وإنما يجادل في الحقيقة وفي الواقع. كنت أبحث عن كل ذلك وجدته في شخصية أبي بكر القادري، شخصية كانت فذة ومتميزة عن شخصيات كثير من الآخرين الذين عرفتهم والذين مرت بهم الحياة أمامي، والرجل كانت شخصيته متكونة ومتوازنة وشخصيته قادرة على العمل وقادرة على التفكير وقادرة على المواصلة وقادرة على كسب الثقة، وليس سهلاً أن تكون لك شخصية قادرة على كسب الثقة، ومن يذكر أنه عرف شخصاً ليس صديقاً لأي بكر القادري، كل الذين عرفهم، وكل الذين عاشروه، وكل الذين عرفوه، وكل الذين عاشوا في عصره، كلهم كانوا أصدقاء أبي بكر القادري، وهذه الشخصية لا تنال بسهولة، لا يمكن مطلقاً أن تجدها ككثيرين من الناس، بل من الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم. وكانت له هذه الشخصية الفذة، والواقع أنني أتمنى أن ينكب أحد الباحثين النفسيين ليدرس شخصية أي بكر القادري منذ طفولته ، كيف تربي وكيف عاش، وكيف تولى المناصب، وأذكر أنه كان يتيماً فقيراً، ومع ذلك كان عبقريا، كان يعتمد على نفسه أكثر مما يعتمد على الآخرين، كان يستفيد من كل الذين يلتقي بهم، ويفيد كل الذين يلتقي بهم، هذه الشخصية النادرة هي التي افتقدناها، وهي التي نجتمع اليوم لتأبينها، نبحث عنها بيننا فلا نجدها ، ولكننا نجد روحه الطاهرة ترفرف على الجمع الكريم، رحمه الله وأجزى له الثواب. إنا لله وإنا إليه راجعون.

وصبراً آل القادري، صبراً آل الاستقلال فقد فقدتم رجلاً عظيماً، ولكن مع ذلك إرادة الله أعظم مما نريد.